

القلب الخاشع في القرآن الكريم



(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ) (الحديد/ 16).

(يأن) فعل مضارع مجزوم بلم، أصله (أنى) بمعنى قرب وحضر وجان وقته، وخشوع القلب تأثيره عند مشاهدة عظمة الله وكبريائه، فكل ما يذكر الإنسان بربه فإنه يتجلى لديه عظمة خالقه وبارئه ومدبر أمره، فيخشع قلبه، فالمؤمن عندما يذكر بآيات الله وما نزل من الحق، فإنه سرعان ما يخشع قلبه، وتخضع جوارحه، ويتذلل أمام الله عز وجل.

والخشوع الصراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد في الجوارح.

و ضد الخشوع التكبر وحب الذات:

(الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي) (غافر/ 60).

فالذين قست قلوبهم لا يخشعون ولا يتذللون أمام آيات الله وما نزل من الحق، فيستكبرون عن عبادة الله ويتكبرون على الخلق.

(إِنَّ السَّادِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر/ 60).

قال الإمام الكاظم (ع) لهشام: يا هشام، إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا (الحجر الصلب)، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار، لأن الله جعل التواضع آلة العقل، وجعل التكبر من آلة الجهل، ألم تعلم أن من شخ إلى السقف برأسه شجته؟ ومن خفض رأسه استطل تحتها وأكذبه؟ فكذلك من لم يتواضع خفضه، ومن تواضع رفعه.

وفي حديث عن رسول الله ﷺ: علامة الخاشع أربعة: مراقبة الله في السر والعلانية، وركوب الجميل، والتفكير ليوم القيامة، والمناجاة ﷻ.

وثمره العلم ونتيجته الصادقة هو الخشوع والخضوع ﷻ سبحانه.

عن مولانا الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام): مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعلمون وما تعملون بما علمتم، فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبه إلا كفراً، ولم يزد من الله إلا بُعداً.

واعلم أنه ليس العلم عبارة عن استحصال المسائل وتقرير الدلائل والبيوت، بل هو ما زاد في خوف العبد من الله سبحانه، ونشط في عمل الآخرة وزهد في الدنيا.

قال العالم (ع): أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلا به، وأوجب العلم بك ما أنت مسؤول عن العمل به، وألزم العلم لك ما دل على صلاح قلبك وأظهر لك فساده، وأحمد العلم عاقبة ما زاد في عملك العاجل، فلا تشتغل بعلم ما لا يضر كجهله، ولا تغفل عن علم ما يزيد في جهلك تركه.

ثم انظر الآيات الواردة بمدح العلم تجدها واصفات العلماء بما ذكرناه. قال الله تعالى:

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (فاطر/ 28).

فوصفهم بالخشية، وقال تعالى:

(أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آزَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (الزمر/ 9).

فوصفهم بإحياء الليل بالقيام ومواصلة الركوع والسجود والخوف.

وقال الصادق (ع): الخشية ميراث العلم، والعلم شعاع المعرفة، وقلب الإيمان، ومن حرم الخشية لا يكون عالماً وإن شق الشعر بمتشابهاً العلم.

قال معاذ: تعلموا العلم، فإن تعلم العلم خشية، وطلبه عبادة، ومداومته تسيح، والبحث عن جهاد، وآدابه خمسة: تقديم تطهير النفس عن رذائل الأخلاق، وتقليل العلائق، والانقياد إلى إشارة المعلم، وأن يكون قصده تخلية باطنه في الحال، وتحصيل السعادة إلى الاستقبال.

قال عيسى (ع): أشقى الناس من هو معروف عند الناس بعلمه مجهول بعمله.

قال النبي محمد (ص): مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه. وعلم لا ينفق ككنز لا ينفق منه. وعالم لا يعمل بعلمه فالعلم والعالم في النار.

المصدر: كتاب حقيقة القلوب في القرآن الكريم